جبهة الصمود تنتظر عودة أعضائها

بعد الاستجمام في قصر السلام ببغداد

في اى اتجاه سيسير العالم العربي بعد معاهدة الصلح المنفرد ما من شك في ان الوضع قد اختلف الان . والخارطة السياسية للمنطقة قد تعرضت تغيرا ولو الى حين . ولا تستطيع اية دولة عربية ان تتصدى بمسؤولية لمهمات الوضع الراهن دون ان تأخذ في اعتبارها حقيقة ان اكبر الدول العربية واقواها قد انتقلت الى الخندق المقابل في حلبة الصراع . وهناك محاولات الان للمبالغة في حجم هذا التحول على الوضع العربي وهناك تساؤلات مريبة هدفها التشكيك في قدرة الدول العربية الاخرى على مواجهة الموقف ، وعلى مواصلة الكفاح لاسترداد الحقوق المغتصبة .

وتبدو هذه التساؤلات المريبة مع المراوحة الذى تتخذه الدول العربية في الوقت الحاضر ، وتوقفها عند حدود مقاطعة النظام المصرى دون التقدم بخطة عملية لاستعادة ما فرضه ذلك النظام .

ويحاول اصحاب تلك التساؤلات ومن ورائهم اجهزة الحرب النفسية المعادية للعرب تصوير الموقف العربي الراهن وكأنه اقصى ما تستطيع الدول العربية المعارضة لسياسة السادات القيام به . وان الخطوة التالية لتلك الدول هي الانعطاف نحو الموقف المصرى مثلما حدث من قبل في رودس عام ١٩٤٨ غير ان الواقع الراهن يجيب بالنفي القاطع على تلك التساؤلات المريبة ، ويبرز مزايا جديدة لم تكن موجودة ايام رودس . واهم هذه المزايا هو وضع الشعوب العربية عليها ووضع حركتها الوطنية التحررية وفي مقدمتها الحركة الوطنية للشعب الفلسطيني . ووضع المراوحة الحالي الذى تتخذه الدول العربية يؤكد في حد ذاته اختلاف الوضع عما كان عليه في عام ١٩٤٨ ويعكس قوة تأثير حركة التحرر العربية في تشكيل معارضة غالبية الدول العربية، بما فيها دول اليمين العربي المتعاطفة استراتيجيا مع النظام المصرى، مع سياسة ذلك النظام فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

ان السنوات الثلاثين الماضية لم تكن رحلة عابثة في حياة الشعوب العربية بل كانت سجلا جدا حافلا بالانجازات . وقد تغير ... حركة التحرر العربية الى ... وازداد الوزن السياسي ... الطبقة العاملة وللفئات الديمقراطية ... من البورجوازية الصغيرة ... هذه الحركة، وهذه حقيقة بارزة الوضوح في الحركة الوطنية الفلسطينية وفي القيادات ... لبعض الانظمة العربية التي لم يكن لها مثيل في عام ١٩٤٨ . وبالاضافة الى ذلك فان الشعوب ... قد ازدادت وعيا وخبرة ... ، واستفادت من الاصلاحات الاجتماعية بحيث لم يعد سهلا ... منها وهي تجد في ازدياد ... الاميركي في منطقة الشرق ... تهديد المكتسباتها السياسية ... الاجتماعية قياسا على ما يجرى الان ... بسبب سياسة الانفتاح . وهناك الى جانب هذا تجربة ... مع الاتحاد السوفياتي وما ... الجماهير العربية من ايجابيات ... التجربة على كفاحها . وهناك ايضا موقف الرأى العام ... المتميز، بالتعاطف النشيط ... الفلسطيني والحقوق ... للشعوب العربية .

... جميع هذه العناصر الايجابية ... متوفرة للجانب العربي من ... عند الاستفادة منها تعوض عن اية خسارة يمكن ان يحدثها خروج النظام المصرى من الساحة العربية .

وهناك عدة دول عربية بعينها تدرك الفرق النوعي بين الوضع العربي قبل ثلاثين سنة والان . وهي لا تستطيع الا التجاوب مع مقتضيات هذا الفرق النوعي ولكن بالقدر الذى يحتمها الضغوط الجماهيرية واخطار العزلة . والى المدى الذى لا يصل الى حد المواجهة مع الامبريالية .

وهذه الدول تحاول في الوقت الحاضر تجميد حركة دول الصمود عند حدود قرارات قمة بغداد . وتعتبر ذلك ارضية مشتركة وحيدة يمكن من خلالها الاحتفاظ بالتضامن العربي ، والحيلولة دون قيام محاور واستقطابات .

وهي تقول لدول جبهة الصمود انها جاهزة لتقديم الاموال وللاحتفاظ بموقف المعارضة للسادات، رغم تعاطفها الاستراتيجي مع سياسته، ولتبني مطالبها العامة بخصوص التسوية السياسية في الشرق الاوسط ، شريطة ان تتخلى دول الصمود ، بالمقابل ، عن الجبهة وعن القرارات المناهضة للسياسة الاميركية والداعية الى التحالف الاستراتيجي مع الاتحاد السوفيتي .

ولا ينسى ممثلو اليمين العربي الاشارة الى المصاعب التي يمكن ان يسببها لدول الصمود وجود القطع البحرية الحربية الاميركية في المنطقة ، والالغام المبثوثة على طريق سوريا ومنظمة التحرير في لبنان .

وقد اعتبر مخططو السياسة الاميركية ان نجاح اليمين العربي في التوصل الى هذا "الحل الوسط" يعتبر كسبا استراتيجيا للولايات المتحدة . لان الحصيلة النهائية لهذا "الحل" هو تكبيل ايدى جبهة الصمود وحركة التحرر العربية ، وحرمانها من تقديم البديل لسياسة السادات ، وبالتالي تعزيز مركز النظام المصرى في الداخل وكسب مجموعة اخرى من الدول العربية ، بالمنظور الاستراتيجي ، الى جانب السياسة الاميركية .

والغريب ان هذا "الحل الوسط" يلاقي تجاوبا من قبل قيادة الحكم في العراق . وقد انتقل المسؤولون العراقيون بموقفهم السياسي نقلة حادة من الرفض الكامل واتهام جبهة الصمود بالتخاذل الى موقف وسطي توفيقي بين تلك الجبهة ودول اليمين العربي . ويبدو ان لاولئك المسؤولين حساباتهم السياسية الخاصة بهم والمنطلقة من اعتبارات ذاتية ضيقة . فهم يأملون ، على ما يبدو ، في احتلال مركز الزعامة في العالم العربي ، بعد فقدان نظام السادات لهذا المركز ، ويتصورون انهم بقيامهم بدور الوسيط كما فعلوا في مؤتمر وزراء الخارجية وقبله في مؤتمر القمة سيكونون في موقع الذى لا يستغنى عنه بالنسبة لجميع الاطراف . وهم يشعرون انهم بالسياسة التي ينتهجونها سيتمتعون بمزايا لدى جميع الاطراف . فهم باعمال التنكيل ضد الشيوعيين يحظون برضى وثقة اليمين العربي ومن ورائه الولايات المتحدة . وهم بالدور الذى يستطيعون القيام به الى جانب سوريا ، وباتفاق للعمل المشترك معها يحوزون على اطمئنان دول الصمود . وهم بمعاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفياتي يعتقدون ان باستطاعتهم تحييد القوى الثورية العالمية ازاء ممارساتهم السياسية على الصعيدين الداخلي والعربي .

وهؤلاء السادة ، على ما يبدو ، لم يدركوا بعد انهم ليسوا اول من حاول استخدام هذه اللعبة وعرف مبكرا او متأخرا انه لا يجوز اللعب بالنار وانه لا يمكن جمع المتناقضات في يد واحدة والاطمئنان بانها لن تنفجر في تلك اليد .

ومع ذلك فان للعراق دورا مركزيا في تقديم البديل لسياسة السادات . وهو يستطيع بالتعاون مع سوريا وبانضمامه الى جبهة الصمود ، وبوضع طاقاته ، بصورة عملية محسوسة ، الى جانبها ان يحدث تغيرا ملحوظا في توازن القوى لصالح دول الصمود ، ولصالح البديل الذى تحدى السادات في خطابه الاخير الدول العربية لتقديمه .

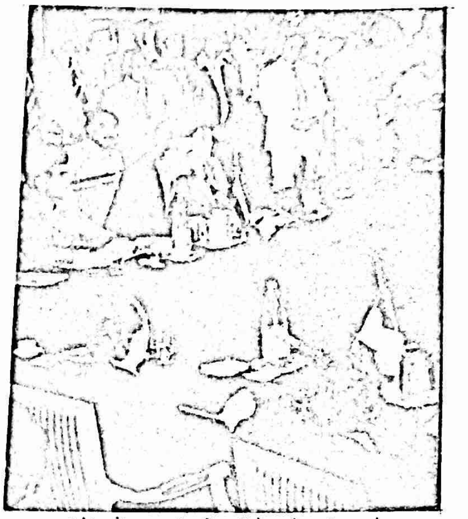

احدى جلسات مؤتمر بغداد

وبالمقارنة بين ما يستطيع العراق ان يقدمه وبين ما يقدمه فعلا يمكن قياس الضرر الذى تحدثه الممارسات الحالية لحكامه.

ان "الحل الوسط" بين مواقف الدول العربية الذى تحاول دول اليمين العربي تكريسه من شأنه فيما اذا قبلته دول الصمود ان "يحيد" الدول العربية تجاه "الحل الاميركي ويطلق الضمان لاطراف "كامب ديفيد" لتواصل اجراءاتها وتحويلها الى امر واقع .

ان "الحل الوسط" بين مواقف الدول العربية ، وهو ما يتجسد في قرارات بغداد لا يقود الى تسوية عادلة ولكنه يرفض تسوية غير عادلة دون ان يقدم بديلا لها ،ومعنى ذلك انه يخدم اذاما اقتصرت الدول العربية عليه سياسة "اعطاء السادات والولايات المتحدة فرصة اخرى لمعرفة ما تستطيعان الخروج به من مفاوضات الادارة الذاتية القادمة".

وهناك اكثر من دلالة على ان هذه الغاية هي ما يسعى اليها مؤيدو معاهدة الصلح المنفرد ومن يتعاطفون معهم

وقد قال معلق الاذاعة السعودية في الاسبوع الماضي "ان السعودية ستظل تراقب السادات لترى ما اذا كان سيحقق شيئا للفلسطينيين" : اما السادات ، من جهته ، فينثر الوعود بانه سيحقق الكثير ، وكارتر من جانبه يحث الفلسطينيين ، بدون منظمة التحرير ، وبالتعارض معها ، للاشتراك في مفاوضات الادارة الذاتية لانهم سيحصلون منها على حد قوله ، على الشيء الكثير وغاية كل هذا معروفة وهي دغدغة بعض العواطف المهزوزة ، وتقديم الذرائع للمطالبين بابقاء الموقف العربي عند نقطة "الحرد" على اميركا والسادات .

ومن اجل ذلك تشتد في الوقت الحاضر حملة دعائية هدفها اسدال الستار على المبادئ والاسس التي تم الاتفاق عليها حول الادارة الدائمة ومستقبلها في "كامب ديفيد" وافتعال نقاش بصددها وكأن المفاوضات بشأنها ستجرى فوق ارض عذراء .

لقد كان بيغن اصرح المشتركين في "كامب ديفيد" حينما قال ان الادارة الدائمة ستكون للسكان فقط وانها لن تؤدى لقيام دولة فلسطينية .

ولكن الطرفين الاخرين كارتر والسادات يحاولان الابهام بان الامر مختلف وان ثمرات المفاوضات في العريش وبئر السبع ستكون لصالح الفلسطينين . بل ان هذه الثمرات اصبحت في متناول يد الفلسطينيين قبل ذلك بدليل ما احتوته رسالة بيغن الى كارتر ثم الى مصطفى خليل عما "ينعم" به سكان الضفة الغربية وقطاع غزة من حرية التنقل بين الضفة والقطاع تماما مثلما "اشترط" المسؤولون المصريون قبل توقيع المعاهدة .

وفي هذا السياق تحفل صحافة اليمين العربي بكل كلمة تصدر عن كارتر او عن اى مسؤول اميركي يشير فيها ولو من بعيد الى امكانية "مشاركة" بعض الفلسطينيين في تقرير مصيرهم .

والهدف من وراء ذلك كله هو اسناد محاولة "التسوية" او تثبيت "الحل الوسط" بين المعسكرين العربيين . واثارة البلبلة في صفوف الفلسطينيين ، وتخفيف الضغوط الداخلية والخارجية عن نظام السادات .

واضافة الى ذلك فان الولايات المتحدة باتت ترى الان انها اكثر قدرة على المناورة . وهي تشعر انها بمصالحة مصر واسرائيل قد نزعت "الفتيل" من الازمة القابلة للانفجار في الشرق الاوسط . وبامكانها الان ، كما تتصور ، الجلوس بل "الاسترخاء" فوق الازمة ، وادارة المفاوضات ، وهي في ذلك الوضع ، الى ما لا نهاية .

ولكن الواقع الموضوعي في المنطقة وطبيعة القوى المشاركة في الازمة ، والبعد الدولي لها لاتساعد الطرف الاميركي ولا اصدقاءه على الاسترخاء .

وفتيل الازمة لا يمكن نزعه الا بجهد مشترك من قبل جميع الاطراف وبالذات بالبلد الفلسطينية قبل غيرها .

واعلان الولايات المتحدة عن انها ستكون شريكا كاملا في المفاوضات ، وتصوير ذلك وكأنه خدمة للمصلحة العربية ، ليس الا تأكيدا منها على استمرار محاولتها لتعزيز نفوذها الامبريالي في المنطقة

ولهذا فان "الانتظار" ليس بديلا لسياسة السادات ولا ردا عليها والقبول بالحل الوسط بين موقفي المعسكرين العربيين ليس في مصلحة معسكر الصمود واهم من ذلك ليس في مصلحة الشعوب العربية جمعاء .

والحل هو في العودة مجددا ، بالعراق او بدونه ، الى جبهة الصمود وقراراتها ، والى التصدى للدور الاميركي ونتائجه . وعلى هذه الجبهة ان تبني مواقفها وحساباتها على اساس ان المواجهة ، في المقام الاول ، هي مع الامبريالية الاميركية وليس مع نظام السادات . وان ادواتها ينبغي ان تكون اكبر واشمل من مجرد نقل مقر الجامعة العربية او اعلان المقاطعة ضد مصر .

هذه هي الخطوة الاولى على الطريق البديـــل .

بشير البرغوثي

السادات «متواضع» جدًا

قال الرئيس المصرى انور السادات ، انه خلال لقاءاته مع الرئيس الاميركي كارتر قال له الاخير "انت تبالغ بترديد ان ٩٩ بالمئة من اوراق الحل هي بيد الولايات المتحدة" . فأجاب السادات "طب يا سيدى ما تزعلش ٩٩٫٩ بالمئة من الحل بيد اميركا" .

وكما يظهر هذا الحوار فان السادات متواضع جدا ، فلم يحتفظ لنفسه ولو بورقة واحدة بل اعطاها جميعها لصديقه العزيز كارتر .

ولكن المتتبع لمسلسل المواقف الاميركية من ناحية ولمسلسل الموافقة المصرية من ناحية اخرى يلاحظ ان الرئيس كارتر ابتدأ بالحديث عن تسوية شاملة عادلة ، ثم تدرج هذا الموقف للحديث عن الحدود التي يمكن الدفاع عنها بعد ان كان يتحدث سابقا عن تعديلات طفيفة في الحدود ثم عن الحدود الامنه والمعترف بها والتي تختلف عن الحدود التي يمكن الدفاع عنها . ويتضح الان من بنود معاهدة الصلح ان الرئيس كارتر سار باتجاه تنشيط جميع القوى الموالية للولايات المتحدة والكفيلة بانجاح المخططات الاميركية اللازمة لتأمين سيطرة مباشرة على المنطقة .

اما بالنسبة للسادات فقد ابتدأ بالحديث قبل ١٦ شهرا عن الانسحاب الكامل والدولة الفلسطينية المستقلة وانتهى بالاكتفاء بالحكم الذاتي وبقاء المستوطنات والقوات الاسرائيلية في المناطق المحتلة .

ان هذا التدرج بالمواقف يثبت ان السادات نفسه وليس اى شخص آخر هو الذى سهل مهمة الولايات المتحدة في الوصول الى الحل الذى تريده ،

وللحقيقة فقد تمثل الدور الاميركي في توفير شخص مثل انور ويقدم آيات الطاعة والولاء لمصالح واشنطن والا كيف كان للمعادلة الاميركية ان تنجح لولا هذا التواضع والكرم الساداتي ...

لذلك فالاقتراح الانسب ان يرجع السادات "لصراحته" واخلاقه ويعترف بتضحياته الجمة التي قادت الى "الحل" وكفى المؤمنين على طريقة السادات شر التواضــع ...